



## إبَارشِيَّة جَنُوبِي الْوَالَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْآمَرِيكِيَّةِ الرَّسَالَةُ الشَّهْرِيَّةُ لِلرَّهْبَانِ وَالرَّاهِبَاتِ وَالْمَكْرَسِينَ وَالْمَكْرَسَاتِ دَيْسَمْبَرُ ٢٠١٥

أَحِبَائِي،

سَلَامٌ وَنِعْمَةٌ.

بِنِعْمَةِ اللَّهِ، نَحْنُ الْآنَ عَلَى الدَّرَجَةِ السَّابِعَةِ مِنْ دَرَجَاتِ "السَّلْمِ إِلَى اللَّهِ" -عَنْ 'النُّوحِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْفَرَحِ' - فَلَقَدْ اعْتَلَيْنَا مَرَاحِلَ تَرْكِ الْعَالَمِ خَلْفَنَا، وَاعْتَزَلْنَا الْحَيَاةَ، وَالزَّهْدَ فِي كُلِّ الرُّوَابِطِ الْعَالَمِيَّةِ، وَالْإِعْتِرَابِ. وَاخْتَرْنَا حَيَاةَ الطَّاعَةِ وَالتَّوْبَةِ النَّقِيَّةِ؛ وَجَعَلْنَا أَمَامَنَا دَائِمًا تَذَكْرَ الْمَوْتِ، وَبَدَأْنَا الْآنَ فِي السَّيْرِ عَلَى طَرِيقِ الْقَدِيسِينَ الْمُؤَدِّي إِلَى حَيَاةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالنُّوحِ وَالْإِتِّضَاعِ وَالْإِحْسَاسِ بِالنَّدَمِ.

يَقُولُ الْقَدِيسُ يُوْحَنَّا الدَّرَجِي: "خَاصِيَّتَا الَّذِينَ يَبْدَأُونَ التَّقَدُّمَ فِي النُّوحِ الْمُقَدَّسِ، هُمَا التَّعَفُّفُ وَصَمْتُ الشَّفِيقِينَ. وَخَاصِيَّتَا الَّذِينَ تَقَدَّمُوا فِيهِ، هُمَا الْإِنْعِتَاقُ مِنَ الْغَضَبِ وَاحْتِمَالُ جَلْدِ الْمِظَالِمِ وَالْأَذَى. أَمَّا مِمِّيزَاتُ الْكَامِلِينَ فِيهِ التَّوَاضُعُ، وَالْعَطْشُ إِلَى الْإِهَانَاتِ، الْجُوعُ الطَّوْعِي إِلَى الضِّيْقَةِ الْكَرْهِيَّةِ، وَرَفْضُ إِدَانَةِ الْمُخْطِئِينَ، وَإِشْفَاقٌ يَفُوقُ الطَّاقَةَ".<sup>(١)</sup> وَفِي الرَّسَائِلِ الْقَلِيلَةِ الْمُقْبِلَةِ، أُوَدُّ أَنْ نَتَطَّلَعَ بِنَظْرَةٍ أَعْمَقَ إِلَى الصِّفَاتِ الَّتِي يَذْكُرُهَا الدَّرَجِي فِي هَذِهِ الْمَرَاحِلِ الثَّلَاثِ.

"نَرَى فِي الَّذِينَ يَبْدَأُونَ التَّقَدُّمَ - فَضِيْلِي التَّعَفُّفَ وَالصَّمْتَ." إِنَّ الرَّاهِبَ يَنْعَمُ بِبِرْكَتِهِ بِرُوحِهِ جَدًّا، مِمَّا يَعْطِيهِ الْفُرْصَةَ فِي أَنْ يَقِفَ أَمَامَ اللَّهِ، بَيْنَمَا بَقِيَّةُ الْعَالَمِ كُلِّهَا إِمَّا نَائِمٌ أَوْ مَشْغُولٌ. فَإِذَا مَا انْتَهَزَ فُرْصَةَ هَذَا الْوَقْتِ الْهَادِي لِكَيْمَا يَصْلِي بِصَدَقٍ فَإِنَّ رُوحَهُ سَوْفَ تَشْفَعُ فِيهِ<sup>(٢)</sup>، وَسَيَمْلَأُهُ اللَّهُ مِنْ سَلَامِهِ. وَهُوَ سَوْفَ يَطْلُبُ هَذَا مِنَ اللَّهِ قَبْلَ مَغَادِرَتِهِ لِقَلَايَتِهِ لِحُضُورِ تَسْبِيْحَةِ نِصْفِ اللَّيْلِ لِكَيْ يَسَاعِدَهُ أَنْ يَحْيَا هَذَا الْيَوْمَ الْجَدِيدَ كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيَ إِلَيْهَا<sup>(٣)</sup>. فَإِذَا مَا أَكْمَلَ يَوْمَهُ بِهَذَا السَّلُوكِ، أَشْكُ أَنْهُ سَوْفَ يَصْدُرُ مِنْ هَذَا الرَّاهِبِ أَيْ نَوْعٌ مِنَ الْإِسْرَافِ أَوْ الْفِشْلِ فِي ضَبْطِ النَّفْسِ. سَوْفَ يَكُونُ حَذْرًا وَتَمَيِّقْظًا فِي أَعْفَالِهِ؛ وَلَسَوْفَ يَحَافِظُ عَلَى أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ فِي حَالَةِ صَلَاةٍ دَائِمَةٍ، وَتَذَكُّرٍ خَطَايَاهُ سَوْفَ يَمْنَعُهُ مِنَ إِدَانَةِ الْآخَرِينَ، أَوْ التَّحَدُّثِ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي.

أَتَصَوَّرُ أَنَّ الْوَضْعَ سَيَكُونُ كَثِيرَ الْإِخْتِلَافِ عَنِ رَاهِبٍ يَسْتَقِظُ مُتَأَخِّرًا، وَعَلَى الْفُورِ يَخْرُجُ مِنْ قَلَايَتِهِ مُسْرِعًا، وَلَمْ يَتَحَدَّثْ إِلَى خَالِقِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. بَلْ وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ يَكُونُ لَدَيْهِ الْوَقْتُ الْكَافِي، وَلَكِنَّهُ يَبْدُو بِأَفْكَارٍ عَدِيمَةِ الْفَائِدَةِ.

يَقُولُ الْقَدِيسُ مَارِ أَوْغْرِيس: "إِذَا بَرَدَتْ عَزِيْمَتُكَ، صَلِّ كَمَا يَقُولُ الرَّسُولُ فِي (يَع ٥: ١٣). صَلِّ بِخَوْفٍ وَرَعْدَةٍ وَاجْتِهَادٍ، بِسَهْرٍ دَاخِلِيٍّ وَبِقِظَةٍ. أَنْ تَصَلِّيَ بِهَذَا الْإِسْلُوبِ ضَرْوْرِيٌّ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ لِأَنَّ الْأَعْدَاءَ (الشَّيَاطِينَ) خَبِثَاءٌ جَدًّا، لِأَنَّهُمْ بِمَجْرَدِ أَنْ يَرُونَا نَصَلِّيَ؛ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ وَيَقْفُونَ بِجَوَارِنَا، مُسْتَعِدِّينَ لِلْهَجُومِ، مُوحِينِ لِفِكْرِنَا بِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَجِبُ أَنْ نَفْكَرَ فِيهَا أَثْنَاءَ الصَّلَاةِ؛ وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ يَحَاوِلُونَ أَنْ يَأْسُرُوا فِكْرِنَا لِكَيْ تَكُونَ صَلَاتِنَا وَتَضْرِعَاتِنَا بَاطِلَةً وَبِلَا مَنَفْعَةٍ".<sup>(٤)</sup>

إِذَا مَا بَدَلْنَا جَهْدًا وَاعِيًا وَبِأَمَانَةٍ لِكَيْ نَسْلِكَ بِالتَّحْقِيقِ مَفْتِدِينَ الْوَقْتِ<sup>(٥)</sup>، أَعْتَقِدُ أَنَّ سَنَكُونُ أَقْلَ إِهْتِمَامًا بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَسْتَحُودُ عَلَى تَفْكِيرِنَا، وَسَنَصْبِحُ أَكْثَرَ إِهْتِمَامًا بِاللَّهِ. يَقُولُ الدَّرَجِي: "لِيُرْقِدْ مَعَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ تَذْكُرُ النَّارَ الدَّهْرِيَّةَ، وَلِيَهْضِ مَعَكَ أَيْضًا: حَيْنَنْدُ لَنْ يَسْتَوَلِيَ عَلَيْكَ التَّوَاتِي قَطُّ فِي أَوَانِ تَرْتِيلِكَ وَتَسْبِيْحِكَ".<sup>(٦)</sup> وَلِكِي يَسَاعِدُنَا عَلَى تَحْقِيقِ ذَلِكَ فَهِيَ يَقْتَرِحُ أَنْ نَرْتَدِي مَا يَحْتَنَّا عَلَى النُّوحِ، "لِأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ يَنْوَحُونَ عَلَى مَوْتَاهُمْ إِنَّمَا يَتَجَلَّلُونَ ثِيَابًا سُودَاءً".<sup>(٧)</sup>

(١) السَّلْمُ إِلَى اللَّهِ - الْقَدِيسُ يُوْحَنَّا الدَّرَجِي - الدَّرَجَةُ السَّابِعَةُ - النُّوحُ الْمُؤَدِّي إِلَى الْفَرَحِ مِنْ ١٣٥- إِبْدَارُ دِيرِ السَّرِيَانِ (٢) رُوحًا: ٢٦ (٣) أْف ٤: ١ (٤) مَارِ أَوْغْرِيسِ الْمَتْوَحِد - تَعْلِيمُ أَوْلَى عَنِ النَّسْكَ وَالسُّكُونِ فِي حَيَاةِ الْمَتْوَحِدِ مِنْ ص ٣٥ - كِتَابُ الْفِيلُوكَالِيَا النَّصُوصِ الْأَصْلِيَّةِ الْكَامِلَةِ، ٢٠٠٩ - مَطْرَانِيَّةُ بَنِي سُوَيْفِ (٥) أْف ٥: ١٥ - ١٦ (٦) مَرْجِعُ رَقْمِ ١ ص ١٣٨ (٧) نَفْسُ الْمَرْجِعِ مِنْ ص ١٣٨

أود أن أطرح عليك هذا السؤال: هل كان سبب قدومك إلى الحياة الرهبانية من أجل أن تتغير. أم كان مجرد اختياراً لوضعاً مريحاً يبدو مناسباً لإشباع احتياجاتك؟

إن كان من أجل أن تتغير وتتجدد، إذن فأود لو أن تفحص ذاتك وأن تعقد مقارنةً بين أول يوم تقدمت فيه إلى الدير وحتى اليوم، لكيما ترى التغيير الفعلي الذي حدث في حياتك.

بالطبع لم يتوقف الله عن تنقيتِكَ عن طريق التجارب وعن منحك الفرص البسيطة لكسر مشيئتك. فكيف كانت استجابتك؟

بدون ذهن متيقظ لا يكون هناك فرق بين حياتنا الرهبانية والحياة في العالم.

لو تركنا أنفسنا للتهاون، فسوف نكرس فقط الوقت المطلوب منا له، ونصرف باقي الوقت فيما يسرنا، وما يمكننا أن نتمتع به، وفي الأحاديث غير النافعة بدلاً من أن ننتهز فرصة النعمة العظيمة التي لدينا لتكريس حياتنا لله.

إذا ما دعانا الله لكسر مشيئتنا وإنكار ذواتنا، واخترتنا نحن هذه الحياة بمحض إرادتنا لفعل هذه بعينه، إذن فلماذا كثيراً ما نتذمر؟ وإذا كنا مؤمنين بأن الراهب يُوجّه من قِبَل مرشده، ولا يعيش مستقلاً كما كان يعيش في العالم، إذن فلماذا كثيراً ما نُجادل؟ هل لدينا خطة للخلاص أفضل من تلك التي رسمها لنا الله؟ يقول القديس أغسطينوس: "إذا اقتنعت بما يعجبك مما جاء في الإنجيل ولم تقتنع بما لم يعجبك، فأنت لا تؤمن بالإنجيل، بل بنفسك". نفس الوضع يكون للراهب الذي يعيش كما يحسن في عينيه بدلاً مما اختاره له الله في حياته الرهبانية.

بخصوص إشباع الذات، سوف تساعدك كلمات الدرجي: "ليكن لك اضطجاعك على مرقدك، صورةً لاضطجاعك في قبرك، فستنام أقل. لتكن لك متعة مائدتك، تذكرة بمائدة الدود الكنيية، فستكون أقل تنعماً. عند شربك الماء، لا تنس عطش ذلك اللهييب، فستغضب بالتأكيد طبيعتك".<sup>(٨)</sup>

لو شعرت أن من طبيعتك الثثرة، تذكر إذاً أن "ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه"<sup>(٩)</sup>، فأحثك على الجهاد و المثابرة لنيل إكليل في السموات. دَرَب نفسك على ضبط النفس عند الكلام.

"إن سمعت كلاماً فليمت عندك. ثق فإنه لا يشقك. الأحمق يمخض بالكلمة مخاض الوالدة بالجنين".<sup>(١٠)</sup>

جاهدوا يا أحبائي، ولا تدعوا الأيام تمضي هباءً بمشاغل لن تساعدنا في يوم الدينونة. "رأيت قطرات من الدموع يسيرة منهمة بتعب كقطرات دم، كما أبصرت ينايياً من العبرات منهمة خلواً من صعوبة فحكمتُ على أولئك الفعلة لا بحسب دموعهم، بل بحسب تعيمهم وأظن أن الله يحكم هكذا أيضاً".<sup>(١١)</sup>

ما الذي يمنعك عن الإجابة بـ"نعم" على هذا السؤال: "أثرى يوجد أحد قد أمضى هكذا كل زمانه في السيرة الرهبانية بتقوى، حتى أنه ما خسر قط يوماً، ولا ساعة، ولا لحظة، لكنه صرفها بالكمال للرب، مفتكراً أن يوماً واحداً من العمر لن يرى مرتين؟"<sup>(١٢)</sup>

"ما نلام يا إخوتي حين تغادر أنفسنا هذا العالم، لأننا لم نتجرع عجائب. ولا لأننا لم نكن من اللاهوتيين، ولا لأننا لم نبلغ التأمل، لكننا سنقدم بالتأكيد لإلهنا حساباً على كوننا لم ننجح نوحاً متصلاً".<sup>(١٣)</sup>

"هذه درجة سابعة، مَنْ حُسب أهلاً لارتقاءها فليغثي، لأنه هو قد أُغيث، إذ أنه بهذه الدرجة السابعة قد اغتسل من أساخ هذا العالم".<sup>(١٤)</sup>

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم. والمجد لله دائماً. آمين.